بين گوته والجزيري

عبدالرحمن مزروى

هو الشاعر الالماني العظيم جوهان ڤون گـوته Johann Von Goethe ، الذي عاش بين 1749-1832 م ، وكان متعدد المواهب ، كتب في جميع الانواع الادبية المعروفة ، فكان روائيـا وكاتبـا مسرحيا ومفكرا سياسيا .. اضافة الى عبقريته الشعرية .

أخذ عن ابيه المحامي والمستشار فيما بعد ، الاغـراق في فلسفة النور ، فاطلع على الآداب الشـرقية وانتهى اخيـرا الى رمزية صوفية نضـج بها ، ارتبـط والشاعـر شيلر في صداقـة حميمة ، ولما مات شيلر ، كتب عنه قائلا : بأنه (فقد شطرا من نفسه) ، وصفه نابليون بونابرت بأنه (اعظم شاعر تراجيدي في المانيا) .

له آلام ڤارتر وفاوست Faust وسنوات السفـر .. والديوان الشرقي الذي استلهم فيه ارواح العـديد من شعـراء الشرق ومنهم شاعرنا (الجزيري) الخالد[1] .

والجزيري هو الشاعـر الكردي العـظيم احمد بن محمـد البهتي الجزيري المشهور بـ (مەلایێ جزیری) . ولد في جزيرة بوتان (ابن عمر في المصادر العربية) وعـاش في اواخر القـرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي وعـاصر الشاعـرين الخالدين فقيه طيران وشمس الدين الاخلاطي .

يعتبر ديوانه باللغة الكردية معجزة في الفصاحة والبلاغة ، وآية في العمق والعذوبـة ، وجوهـرة فائقـة في الدقة والسحـر الحلال ، انه قطب الصوفية وبركانهم الثائر أبدا[2] .

والقضية التي يناقشها هذا المقال ، هي قصيدة الشـاعر گوته المعنونة (كتاب قراءة) في تآليفه القيم (الديـوان الشرقي

للمؤلف الغربي) الذي ترجمه الى العربية الكاتب الفذ الدكتور عبدالرحمن بدوي والتي جاء فيها :

أي (نيشاني) لقد استطعت في النهاية ، ان تكتشف الطريق القويم ،
هذا السر المستغلق من ذا يقدر على كشفه،
فيتلاقى العشاق من جديد؟![3] .

فمن هو (نيشاني) هذا ..؟! وفي أي عصر عاش ..؟! وهل هو شاعر تركي كما ذهب اليه مترجم الديوان ..؟! أم انه الشاعر الكردي احمد الجزيري الملقب بـ (نيشاني) ..؟! وما هي ادلتنا على ذلك ..؟!

وكأمانة ادبية فقد سبقني هذا الرأي الشاعر صبري البوتاني [4] ، اذ ليس مقالي هذا سوى غربلة ثانية للمصادر ، وايرادا بأدلة جديدة ، وتوكيدا للنتائج التي توصل اليها .

1 ـ اما انه شاعر تركي ، فلا تذكر المصادر الادبية والتاريخية شاعرا تركيا صوفيا بتخلص (نيشاني) ، عاش في القرن السادس عشر الميلادي وعاصر السلطان سليمان الاول (القانوني) 1519-1566 م .. من مثل تاريخ الادب التركي للدكتور حسين مجيب المصري واشارات اولية في الشعر التركي للاستاذ عبداللطيف بندر اوغلو وَ قاموس الاعلام (بالتركية) لشمس الدين سامي ، رغم ترجمة هذا الاخير لعدد من الشعراء ضمن (باب النون) من امثال ، نفعي ونجاتي ونيگاهي ونوائي .. وغيرهم[5] .

3 ـ ان صيغة (نيشاني) هي صيغة كردية ، منسوبة اما الى (نيشان) اي الهدف ، بمعنى ان الشاعر الجزيري اختار لنفسه هذا (التخلص) انه كان هدفا لسهام العشق والهوى وكان هو فعلا الهدف والمستهدف والهداف .. او من (نيشان) اي العلامة ، بمعنى انه كان علامة متميزة وفارقة في الادب الصوفي الكردي ، وكان كذلك حقيقة ، وتقابل هذه الصيغة في التركية (نيشانجي ونيشانليور) وليس (نيشاني) .

3 ـ استخدم الشاعر الجزيري تخلص (نيشاني) في معظم قصائده ، رغم استعماله القابا اخرى (كالملا ، وملي ، واحمد .. وغيرهما) وهو يتلاعب بها اي بالكلمة تلك ، جناسا وتورية وطباقا ، كالمعجب والمغرم بها ، من مثل قوله :

ژحوسنا بێ نيشان نادى نيشانه ك
(نيشاني) گەر ژدل نەكرا تە پەرهيز[6]
وترجمته :
انها لا تعطيك علامة من حسنها التي بدون علامة
يا (نيشاني) اذا لم تحفظ قلبك من الاوهام !
وقوله :
وەك (نيشاني) نەقش ونيشانەك تە دى
ئێ كو نيشانەك تەدى كانێ خەلەت ..؟![7]
وترجمته :
مثل (نيشاني) شاهد نقشا وعلامة منك
والذي شاهد احدى علاماتك ، كيف يكون مخطئا؟!

وغيرها من الامثلة التي لا مجال لعرضها خوف الاطناب والاطالة .

4 ـ يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي مترجم الديوان الشرقي من الالمانية بأن الشاعر (نيشاني) الذي يذكره گوته في قصيدته (كتاب قراءة) عاش في عهد السلطان سليمان القانوني الذي حكم بين (1519-1566م)[8] اي في القرن السادس عشر الميلادي ، وشاعرنا الجزيري (نيشاني) عاش فعلا في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي والنصف الاول من القرن السابع عشر وفق ارجح الاحتمالات .

5 ـ أوردنا آنفا بأن گوته اطلع على الآداب الشرقية ، اما بلغاتهم القومية او عن طريق الترجمة ، وانتهى أخيرا الى رمزية صوفية رائعة ، ففي (ديوانه الشرقي) هذا جعل من الحب رمزا صوفيا كبيرا ، فالحب نفسه تضحية ، وأمل المحب الذوبان في المحبوب والسير نحو الموت ليتحد بالآخر ، وليرتفع الى الاسمى .. وقد استلهم قصائده من كبار شعراء الصوفية في الشرق ، كجلال الدين الرومي وعبدالرحمن جامي وفريد الدين العطار وحافظ الشيرازي .. وغيرهم .

وشاعرنا الجزيري لا يخرج عن هذه الدائرة ولا يحيد عن هذا الطريق الصوفي الرمزي قيد انملة ، فهو لج الفيوضات والانوار ، ونافجة العشق العبقة ، ونبراس الدياجير الحالكة ، بل سراجها الوهاج ، انه كالشاعر (ابن الفارض) في العربية على رأي (الزفنكي) و (حافظ الشيرازي) في الفارسية ، على رأي الشاعر الكاتب رحيم رحمي الهكاري ، وعليه فليس من المستبعد ان يستهلم گوته منه كما استلهم من غيره !

6 ـ ربما عد الاوربيون وقتئذ ، معظم القوميات التي عاشت تحت ظل الاحتلال العثماني بأنهم اتراك ، لكونهم مسلمين اولا ، وتابعين للتاج العثماني ثانيا ، وتمثيلها اياهم في المحافل الدولية والاسلامية ثالثا ، سيما بعد ان تلقب بعض سلاطينهم بلقب (الخليفة) .. وعليه ورد الشاعر (نيشاني) عندهم كشاعر تركي تجاوزا ، اي شاعرا عاش في ظل دولة اتراك بنو عثمان ، ليس الا .

7 ـ ودليلنا الاخير فيما ذهبنا اليه ، هو بمثابة القش التي قصمت ظهر البعير ، فهو قد يكون اقوى الادلة وأقربها الى الحقيقة والصواب .. وهو توافق وتطابق صور وعبارات گوته في قصيدته تلك مع صور وصيغ شاعرنا الجزيري (نيشاني) الذي استلهم منه گوته ، تطابقا يكاد يكون تاما .
فيقول گوته بترجمة البدوي :

ان الاسئلة العديدة ، المستعصية الحل
لا تجد لها جوابا ،
الا عند المحبوب[9]

بينما يقول الجزيري بالكردية :

(تو ژمه‌لایێ هه‌ر بپرس ئه‌سرارێ عشقێ حه‌ل‌دکه‌ت)[10]

وترجمته :

اسالوني اسئلة عديدة ،
فانا حلال اسرار العشق!

ويقول گوته بترجمة البدوي ايضا :

هذا السر المستغلق ،
من ذا يقدر على كشفه ..؟!

بينما يقول الجزيري :

(ئێ معمائێ ج زانن سه‌ د مه‌لا ومستعيد)

وترجمته :

هذا السر المستغلق ،
لا يكشفه مائة ملا ومستعيد !

هذا اذا علمنا بان (گوته) وقف على الترجمة الانكليزية واستلهمها والترجمة ليست كالأصل ، وقديما قالت العرب ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة ! هذا ما اردنا الخوض فيه وتبيانه ، وربما يأتي الزمن بما ليس في الحسبان :

واعلم ما في اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم !

الهوامش :

(1) انظر : جان فرنسوا انجيلوز ـ الادب الالماني ـ ترجمة هنري زغيب ـ بيروت 1980 ـ ص 56 . وصديق شيبوب ـ جوته ـ سلسلة اقرأ / القاهرة 1945م ـ ص 11 .
(2) انظر : الزفنكي / العقد الجوهري ـ القامشلي 1959م ج1 المقدمة . وصادق بهاءالدين الآميدي / ديوان الجزيري بغداد 1977 م / ص 5.
(3) جيته / الديوان الشرقي للمؤلف الغربي / ترجمة عبدالرحمن بدوي ـ بيروت 1980 / ص 121 .
(4) البوتاني ـ صبري أحمد / جريدة العراق / العدد 246 لسنة 1976م .
(5) شمس الدين سامي / قاموس الاعلام / استانبول 1316 مهران مطبعة سي / باب النون ص 4532 .
(6) الزفنكي ـ العقد الجوهري / ج 1ص 275 .
(7) الزفنكي ـ العقد الجوهري / ج 1ص 329 .
(8) جيته ـ الديوان الشرقي / ترجمة: د. البدوي / ص 121
(9) نفس المصدر السابق ص 121 .
(10) الزفنكي ـ العقد الجوهري / ج 1 ص 229 .
(11) جيته الديوان الشرقي ـ ص 121 .
(12) الزفنكي ـ العقد الجوهري / ج 1 ص 229.